

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه آثار و حياة الإبراهيمي:

□ □ إذا استعرضنا حياة الإبراهيمي نجدها تنقسم إلى سبعة أقسام:

1_ مرحلة التكوين و التحصيل الأولى (1889-1911):

ولد بقرية "رأس الوادي" بناحية مدينة سطيف بالشرق الجزائري في 14 يونيو □ عام 1889 م، وفي بيت أسس على التقوى، من بيوتات العلم و الدين، و قد أتم حفظ القرآن الكريم على يد عمه الشيخ المكي الإبراهيمي الذي اكتشف مواهبه المبكرة، وكان له الفضل الأكبر في تربيته و تكوينه، حتى جعل منه ساعده الأيمن في تعليم الطلبة .

2_ المرحلة المشرقية الأولى (1911-1920):

هاجر جدي، الشيخ السعدي الإبراهيمي إلى المدينة المنورة عام 1908 هـ رويًا من ويلات الاستعمار الفرنسي، ولاحق به والدي عام 1911، تأكيداً للتفاعل بين المشرق و المغرب، مرورا بمصر التي أقام بها ثلاثة أشهر، التي التقى خلالها بعدد من علمائها و أدبائها و شعرائها، و حضر بعض دروس العلم في الأزهر، و عندما □ استقر بالمدينة المنورة درس فيها على كبار علمائها - الوافدين من كل أنحاء العالم الإسلامي - علوم التفسير، و الحديث، و الفقه، و التراجم، و أنساب العرب، و أدبهم، و دواوينهم، كما درس علم المنطق و الحكمة المشرقية، و أمهات كتب اللغة و الأدب، ثم أصبح يلقي الدروس للطلبة في الحرم النبوي، و يقضي أوقات فراغه في المكتبات العامة و الخاصة باحثا عن المخطوطات .

و التقى خلال إقامته بالمدينة المنورة، في موسم الحج عام 1913، بالإمام عبد الحميد ابن باديس، وما من شك أن تلك اللقاءات شهدت ميلاد فكرة تأسيس جمعية العلماء .

و في سنة 1917، انتقل الإبراهيمي إلى دمشق، حيث دعت حكومتها الآداب العربية بالمدرسة السلطانية (مكتب عنبر)، و هي المدرسة العصرية الوحيدة آنذاك، بالإضافة إلى لقاء دروس الوعظ و الإرشاد في الجامع الأموي، و قد تخرج على يديه جيل من المثقفين كان لهم أثر بالغ في النهضة العربية الحديثة .

من الأماكن التي كانت لها مكانة خاصة في قلب الوالد -بعد مسقط رأسه- المدينة المنورة ، و كان رحمه الله - يحثني - بعد الاستقرار - على قضاء شهر رمضان بالمدينة ،لما للمكان من بعد روجي ،ولسكانها من خلق و طيبة ، و مدينة دمشق التي تزوج فيها بوالدتي رفيقة العمر -رحمها الله رحمة واسعة - ودفن فيها والده و حماله و ابنه.

3- مرحلة المراهقات (1920-1931):

قرر الإبراهيمي العودة إلى الجزائر سنة 1920 ، و في مخيلته فكرة حركة تحيي الإسلام و العربية في الوطن و تنشر العلم ، و تبعث الأمة ، و أعجب بعد وصوله بالنتائج المثمرة التي حققها ابن باديس الذي كان يقود حركة ثقافية و صحفية بمدينة قسنطينة ، فأقام بمدينة سطيف و أنشأ بها مدرسة و مسجداً ، بعد أن رفض الوظيفة التي عرضت عليه من طرف السلطات الفرنسية ، و تعاطى التجارة ليقوم بأود عائلته ، و بقي على اتصال بابن باديس. و خلال هذه المرحلة تردد على مدينة تونس حيث كان يقيم أشهره ، و حيث كانت له صداقات في الأوساط العلمية و الأدبية .

4- بدايات جمعية العلماء (1931-1940):

في عام 1931 تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، كرد فعل إيجابي على احتفال فرنسا بمرور قرن على احتلال الجزائر ، بعدما أيقنت أن الجزائر قد أصبحت إلى الأبد قطعة منها ، مسيحية الدين ، فرنسية اللسان ، فجاء شعار الجمعية صارخاً مدوياً في وجه فرنسا ، و راسماً طريق الخلاص منها : "الإسلام ديننا ، و العربية لغتنا ، و الجزائر وطننا" .

و وضع الإبراهيمي دستور الجمعية و قانونها الأساسي ، و أصبح نائباً لرئيسها الإمام ابن باديس ، و منذ عام 1933 تكفل بالمقاطعة الغربية من القطر ، و اختار مدينة تلمسان مركزاً لنشاطه المكثف ، و أسس فيها "مدرسة دار الحديث" سنة 1937 ، بنيت على نسق أندلسي أصيل ، فكانت مركزاً لإشعاع ديني و علمي و ثقافي ، و احتوت على مدرسة و مسجد و قاعة محاضرات .

5- قيادة الحركة الدينية و الثقافية بالحزب (1940-1952):

بعد أن رفض الإبراهيمي رفضاً قاطعاً كل محاولات فرنسا لإفرائه و احتوائه أو تثبيط عزيمته ، قررت السلطات الاستعمارية نفيه إلى قرية "أقلو"؛ أقلو"؛ في الجنوب الغربي من الوطن ، في مطلع الحرب العالمية الثانية .

و بعد أسبوع من نفيه تلقى خبر وفات رفيقه الإمام عبد الحميد ابن باديس رحمه الله ، و خبر اجتماع أعضاء الجمعية و انتخابهم له

رئيساً رغم المضغوط الفرنسية المرامية إلى انتخاب غيره ، فتحمل مسؤولية قيادة الجمعية غيابياً، وتولى إدارتها بالمراسلة طول الأعوام الثلاثة التي قضاهها في المنفى ، وبعد إطلاق صراحه عام 1943 ، أصبح قائداً للحركة الدينية والعلمية و الثقافة في الجزائر ، يجوب ريوها معلماً و موجهاً و مرشداً، يوحّد الصفوف و يؤسس المدارس و المساجد و النوادي و يهيئ العقول لساعة المصفر التي كانت تخطط لها نخبة من الحركة السياسية. و قد زج به في السجن بعد أحداث مايو 1945، بقي فيه عاماً كاملاً ذاق الأمرين في زنزانة تحت الأرض حيث المظلمة و الرطوبة ، مما استدعى نقله إلى المستشفى العسكري بقسنطينة ، فتحمل هذه المحنة بصبر المجاهد ، ويقين المؤمن .

وفي سنة 1946 استأنف نشاطه ، فبعث جريدة "المبصائر"؛ من جديد في السنة الموالية بعد أن توقف أثناء الحرب ، وأشرف على تحريرها ، كما أسس معهداً ثانوياً أطلق عليه اسم رفيقه و صديقه المرحوم عبد الحميد ابن باديس في قسنطينة حظيت شهادته بالاعتراف من الجامعة الزيتونية و من معاهد الشرق العربي ، و من هذا المعهد تخرج رجال قادوا الثورة المسلحة ، فمنهم من استشهد في الجهاد الأصغر ، و منهم من ساهم غداة الاستقلال في إعادة بناء هذا الوطن كقياديين أو إطارات سامية في الدولة ...

6- المرحلة المشرقية الثانية (1952-1962): □ □ □

سافر الإبراهيمي إلى المشرق العربي للمرة الثانية عام 1952 ممثلاً لجمعية العلماء ليسعى لدى الحكومات العربية لقبول بعثات طلابية جزائرية في معاهدها و جامعاتها ، وطلب الإعانة المادية و المعنوية للجمعية حتى تستطيع مواصلة أعمالها و جهادها ، و التعريف بالمقضية الجزائرية في الأوساط السياسية في الدول التي زارها أو التقى مسؤوليها ، ولدى جامعة الدول العربية .

وقد اتخذ مصر منطلقاً لنشاطه ، ورعى فيها أولى البعثات الطلابية ، وكان سفيراً للجزائر و صوتها المدوي، يلقي المحاضرات و الدروس ، و الأحاديث الإذاعية قبل الثورة التحريرية و أثناءها . و قد زار في هذا الشأن -بعد مصر- كلاً من المملكة العربية السعودية ، و العراق ، و سوريا ، و الأردن و الكويت وباكستان .

و وجّه يوم 15 نوفمبر 1954 - أي بعد أسبوعين من اندلاع الثورة - نداء إلى الشعب الجزائري ، يدعو فيه للالتفاف حول الثورة المسلحة ، و خوض غمار الجهاد المقدس ، و التضحية بالنفس و النفس ، لأن ذلك هو السبيل الوحيد لحياة العزة و الكرامة ، وكان هذا النداء إسكاتاً لكل من يريد التشكيك في شرعية الجهاد باسم الدين ، ودفعاً قوياً للثورة الوليدة .

7- المرحلة الأخيرة (1962-1965):

و هي التي عاد الإبراهيمي فيها إلى وطنه بعد استعادة الاستقلال حتى وفاته في 20 مايو 1965 ، وخلال هذه المرحلة اضطر إلى التقليل من نشاطه بسبب تدهور صحته من جهة ، و بسبب سياسة الدولة التي شعر أنها زغت عن الاتجاه الإسلامي ، فانحصر نشاطه في حدثين مهمين هما :

_____ إلقاء أول خطبة جمعة بعد استعادة الاستقلال ، افتتح بها مسجد " كتشاوة " بالعاصمة ، الذي رجع كما كان مسجداً بعد أن حوله الاستعمار الفرنسي إلى كاتدرائية طول قرن وثلث، وقد ألقى الإبراهيمي هذه الخطبة المشهورة بحضور وفود من جميع الدول العربية و الإسلامية .

_____ إصدار بيان 16 أبريل 1964، الذي دعا فيه السلطات آنذاك للعودة إلى الحكمة و الصواب ، وإلى جادة الإسلام بعد أن رأى البلاد تنحدر نحو الحرب الأهلية ، تنتهج نهجاً ينبع من مذاهب دخيلة مضادة لعقيدتنا و روحنا و جذورنا . □

آثاره رحمه الله :

عيون البصائر : و هي المقالات التي كتبها في جريدة "البصائر " في سلسلتها الثانية .

كتاب بقايا فصيح العربية في اللهجة العامية بالجزائر: المتزم فيه اللهجة السائدة اليوم في مواطن هلال بن عامر .

كتاب النقايات و النفايات في لغة العرب : جمع فيه كل ما جاء على وزن "فعالة " (من مختار المشيخ أو مرذوله).

كتاب أسرار المضمائر في العربية .

التسمية بالمصدر .

المصفات التي جاءت على وزن "فَاعِل " : بفتح العين.

نظام العربية في موازين كلماتها .

الاطراد و المشذوذ في العربية (رسالة في الفرق بين لفظ المطرد و الكثير عند ابن مالك).

كتاب ما أخلت به كتب الأمثال من الأمثال المسائرة .

رسالة في ترجيح أن الأصل في بناء الكلمات العربية ثلاثة أحرف لا إثنان .

رواية :كاهنة الأوراس .

رسالة في مخارج الحروف وصفاتها بين العربية الفصيحة و العامية .

كتاب حكمة مشروعية الزكاة في الإسلام.

كتاب شعب الإيمان : جمع فيه الأخلاق و الفضائل الإسلامية .

و من أعظم ما دون رحمه الله ، ملحمة رجزية نظمها في السنين التي كان فيها مبعداً في الصحراء الوهرانية ، وهي تبلغ ستة وثلاثين ألف بيت من الرجز السلس اللزومي في كل بيت منه، و قد تضمنت فنوناً من المواضيع : تاريخ الإسلام و وصف لكثير من الفرق التي حدثت في عصرنا هذا ، و للمجتمع الجزائري بجميع فرقته و نحله ، ولأفانين في المهزل للمذاهب الاجتماعية و الفكرية و السياسية المستجدة ، و الإنحاء على الابتداع في الدين ، و تصوير لأولياء الشيطان، ومحاورات أدبية رائعة بينهم و بين الشيطان ، و وصف للاستعمار و مكائده و دسائسه و حيله و تخديراته للشعوب للقضاء على مقاومتها .

□ وهناك العديد من المحاضرات و الأبحاث التي كتبها عنه تلامذته حين ألقاها و فتاوى متناثرة .

□

□

المصدر: آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي لئنجله طالب المبراهيمي (ج 1-ج 5)

□

□